

التبيان في تفسير القرآن

(78) الفراء: هي حية بين الصغيرة والكبيرة، قال الراجز: يرفعهن بالليل إذا ما أسدفا * أعناق جان وهاما رجفا (1) ووصف العصا في هذا الموضع " كأنها جان " وفي الشعراء بأنها ثعبان، وهي الحية الكبيرة، لأنها جمعت صفة الجان في اهتزازة وسرعة حركته مع أنه ثعبان في عظمه، ولذلك هاله ف " ولى مدبرا ". وقيل أنها أول شيء صارت جانا ثم تدرجت إلى أن صارت ثعبانا، وهم يشاهدونها، وذلك أعظم في الإعجاز. وقيل: إن الحالين مختلفان، لأن الحال التي صارت فيها جانا هي الحال التي خاطبه الله في أول ما بعثه نبيا، والحال التي صارت ثعبانا هي الحال التي لقي فرعون فيها. فلا تنافي بينهما على حال. وقوله " ولم يعقب " معناه ولم يرجع - في قول قتادة - وقال الجبائي معناه لم يرجع على عقبه. والمعاقبة ذهاب واحد ومجيء آخر على وجه المناوبة. وإنما ولى منها موسى بالبشرية، لا أنه شك في كونها معجزة له ولا يضره ذلك. وقوله " يا موسى لا تخف " نداء من الله تعالى لموسى وتسكين منه، ونهي له عن الخوف. وقال له أنك مرسل و " لا يخاف لدي المرسلون " لأنهم لا يفعلون قبيحا، ولا يخلون بواجب، فيخافون عقابه عليه، بل هم منزهون عن جميع ذلك. وقوله " إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء " صورته صورة الاستثناء، وهو منقطع عن الأول وتقديره لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح، ثم بدل حسنا بعد سوء، بأن تاب من القبيح، وفعل الحسن، فإنه يغفر له. وقال قوم: _____ (1) تفسير الطبري 19 / 76 وروايته: يرقلن بالليل إذا ما رجفا * أعناق جان وهاما رجفا (*)